جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ١٢ —

قال فشكرته والجماعة وخاطبته بان يأذن له بالعود الى وطنه ويؤمنه فقال ويكتب له أمان ويؤكد ويؤذن له في العود الى وطنه قال فغمزني الاسمر في الاستزادة فقلت اطال الله بقاء مولانا ان الثلاثة آلاف درهم لو نفذت اليه الى مصر من غير ان يؤذن له في العود ما كفته لمن يحمله على نفسه لان اكثر اهل مصر بغائين[1] وقد صافقوه في الباكة وغلبوه باليسار عليهم فلا يصل هو الى شيء الا بالغرم الثقيل قال فاعجبه ذكري لاهل مصر بذلك فقال كيف قلت هذا يا خ فقلت المياسير من اهل مصر لهم العبيد العلوج يأتونهم لكل واحد منهم عدة غلمان والمتوسطين يدعون العتوق[2] والزنوج والمشهورين بكبر ... فينفقون اموالهم عليهم ولا يصل الفقير والمتحمل اليهم ولقد بلغني آنفا وانا بمصر ان رجلاً من الفقراء اشتد عليه حكاكه فطلب من يأتيه فلم يقدر عليه فخرج الى الموضع الفلاني قرية ذكرها

(١) كذا بالاصل وفي الفرج بغاؤن وضابقوه في الباكة (٢) كذا بالاصل وعبارة الفرج غير هذه

قريبة من مصر فاقام بها فكان اذا اجتاز المجتازون استغوى [١] منهم من يختار بهذا الحال فحمله على نفسه وكان المجتاز بعد المجتاز ويمكن ارضاه [٢] بما لا يمكن بمصر فعاش بذلك برهة حتى جاءه يوماً بغاء آخر فسكن معه في الموضع فكان اذا جاء الغلام الذي يصلح لهذه الحال تنافسا عليه فافسد على الاول امره فجاء الى الثاني فقال له بيني وبينك شيخنا ابن الاعجمي الكاتب رئيس البغائين فجذبه الى مصر واحتكما اليه فقال اني كنت لما اشتد بي أمري الذي تعرفه ومنعني فقري من اتخاذ الباكة بمصر عدلت الى الموضع الفلاني فعملت كذا وقص عليه القصة فجاء هذا وصنع وقص عليه القصة وشرح له أمره فان رأيت ان تحكم بيني وبينه فاحكم فحكم بينهما ابن الاعجمي ومنع الثاني من المقام في الناحية وقال ليس لك ان تفسد عليه عمله وناحيته اطلب لنفسك موضعاً آخر فيمكن [٣] الناظري ايد الله مولانا الامير سيف الدولة ان يستثفي بثلاثة آلاف درهم امرت له بها في بلد هذه عزة الباكة فيه وكثرة البغائين هذا لو كان مقيما فكيف وقد انعمت عليه بالمسير ويحتاج الى بغال يركبها في الطريق باجرة وديون عليه يقضيها ومؤن قال فضحك ضحكا شديداً من حكاية البغائين وحكم ابن الاعجمي بينهما وكان هذا من مشهوري كتاب مصر فقال اجعلوها خمسة آلاف درهم قال فقلت له انا والجماعة : فيرد اطال الله بقاء الامير مولانا بخمسة آلاف درهم قد انفقها في الطريق الى سوء المنقلب

---

(١) في الفرج : استدعى (٢) في الفرج : كان يعيش بالمجتاز بعد المجتاز ويتمكن من ارضاه بما لا يتمكن منه بمصر (٣) يريد فهل يمكن

قال وكان يعجبه ان نماكس فيجود مع المسألة والدخول عليه مدخل المزاح في ذلك والطيبة واقتضاء الغرماء بعضهم لبعض وما اشبه هذا قال فقال قد طولتم عليّ في أمر هذا الفاعل الصانع اطلقوا له عن ضيعته باسرها ووقّعوا له بذلك الى الديوان وعن مستغله وانقلوا من في داره عنها وتقدموا بان تفرش احسن من الفرش الذي كان نهب له منها لما سخط عليه قال فاكبت الجماعة تقبل يده ورجله وتحلف انها ما رأت مثل هذا الكرم قط هذا مع سوء الرأي فيه وسوء حديثه ما يقول [1] على الارض بغاء ابرك على صاحبه فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة جاه الرجل وعاد الى نعمته وخلع عليه سيف الدولة وحمله ونظر في حوائجه

***

حدثنا ابو القاسم بن معروف قال دخلت الى حلب الى ابي محمد الصلحي الكاتب وابي القاسم المغربي اسلم عليهما وكانا في خدمة سيف الدولة وهما في دار واحدة نازلان لضيق الدور وكان وكيل كل واحد منهما يبكر يوما فيقيم لهما ولغلمانهما ما يحتاج اليه للمادة والوظائف فاذا كان من الغد بكر الآخر فاقام الوظائف لهما ولغلمانهما على هذا قال فلما استقررت عندهما دخل اليهما رجل ضرير فسلم وجلس ثم قال ان لي بالامير سيف الدولة حرمة قديمة وجوار واختصاص ايام مقامه بالموصل وقد قصدته ومعي رقعة فان رأيتما ان توصلاها اليه واخرج رقعة عظيمة هائلة جداً فلما رأياها قالا له هذه عظيمة

(١) لعله يكون

ولا ينشط الامير ان يقرأها فغيرها واختصرها وعد في وقت آخر فانا ناخذها ونوصلها اليه فقال الذي احب ان تتفضلا بعرض هذه الرقعة فدفعاه عن ذلك فقام كالآيس يجر رجله منكسر القلب فداخلني عليه رقة فركبت فدخلت على سيف الدولة وهو جالس وكان رسمه ان لا يصل اليه بتةً احد الا برقعة يكتبها الحاجب باسم من حضر واحداً كان أو أكثر فاذا قرأ اسم الرجل فان شاء دعا به وإن شاء امر بصرفه فلما استقررت [1] عرض عليه الحاجب رقعة فيها فلان بن فلان الموصلي الضرير فقال وهذا يعيش اين هو؟ فقال يدخل فما اظنه معما اعرفه في [2] زهده في الطلب قصدنا الا لجهة حقه قال فدخل فاذا الشيخ الذي رأيته عند الصلحي والمغربي فلما قرب منه استدناه وبش به وقال يا هذا ما سمعت بانا في الدنيا؟ ما علمت مكاننا على وجه الارض؟ماجاز لك ان تزورنا معما بيننا وبينك من الحرمة الوكيدة والسبب الوكيد؟ لقد اسأت الى نفسك واسأت الظن بنا قال فجعل الرجل يدعو له ويشكره ويعتذر فقربه واجلسه فجلس ساعة ثم قام فسلم اليه الرقعة بعينها فاخذها وقرأها الى آخرها وقال يا يونس بن بابا وكان خازنه فحضر فاوعز اليه بشيء ثم استدعى حاجب الكسوة فسارّه بشيء واستدعى رئيس الاصطبل فامره بشيء وانصرفت الجماعة وجاء ابن بابا فوضع بين يديه صرتين عظيمتين فيهما دنانير تزيد على خمسمائة دينار وجاء حاجب الكسوة بثياب كثيرة صحاح من ثياب الشتاء والصيف منثرة بطيب كثير وصياغات

(١) لعله سقطت جملة وصف فيها وجه دخوله على الامير (٢) لعله من

من درج ومرآة وما جرى مجرى ذلك وجاء عريف الفراشة ببسط وزلالي وثياب ديباج للفرش وسَمَنيّات واشياء كثيرة من انواع الفرش بالوف دنانير فصار ذلك كالتل بين يديه وكان يعجبه اذا امر لأنسان بشيء ان يحضره الى حضرته بحيث يراه ثم يعطيه لمن وهبه له قال فاخرج ذلك والضرير لا يعلم وعنده انه قد تغافل عنه وانه أداه في الرتب من ذلك [1] واخذ لا يسار الضرير ولا يقول له شيئاً وجاء صاحب الكراع ومعه بغلة تساوي ثلاثة آلاف درهم ومركب ثقيل حسن وجاء الخادم ومعه خادم بثياب جدد فسلمت البغلة اليه فامسكها في الميدان اسفل الدكة التي عليها سيف الدولة ثم قال للخادم كم جرايتك قال عشرون ديناراً في الشهر قال قد جعلتها لك في الشهر ثلاثين ديناراً وخدمتك لهذا الشيخ خدمة لنا فلا تقصر فيها ولا ينكسر قلبك واحسن خدمته ادفعوا اليه جرايته لسنة فدفعت في الحال اليه ثم قال فرغوا لي الدار الفلانية فتقدم بتفريغها ثم تقدم ان يحمل إلى عياله زورقاً [2] من تل فافان إلى الموصل فيه كرّان حنطة وكر شعير ويملأ ببقولة الشام وما كلها ففعل ذلك كله ثم استدعى ابا اسحاق بن شهرام المعروف بابن ظلوم المغنية وكان يكتب له ويترسل الى ملك الروم ويبعثه في صغير أموره وكبيرها فسارّه بشيء فأخذ أبو اسحاق الشيخ وجعل يخاطبه عن الامير سيف الدولة باعتذار طويل ويقول انك جئتنا في وقت هو آخر السنة وقد تقسمت اموالنا الحقوق والزوار والجيوش وبابنا خلق من الرؤساء ونحتاج ان

(١) لعله يريد عامله معاملة غيره (٢) الصواب زورق

نواسيهم ولولا ذلك لأوفينا على أملك وقد امرنا لك بكذا قال وجعل ابن شهرام يقرأ عليه من فهرست قد عمل ثبت المجموع الذي أمر له به من صنوف الثياب والفرش وغير ذلك قال فقلت للامير سيف الدولة يا مولانا لا تورد على هذا الشيخ هذه الجائزة جملة عقيب اليأس العظيم الذي قد لحقه فتنشق مرارته قال فلما استوفى الشيخ الكلام بكى بكاء شديدا وقال ايها الامير قد والله زدت على املي بطبقات ووفيت على عنائي بدرجات وقضيت حقي وما هو اعظم من حقي وما أحسن ان اشكرك ولكن الله يتولى عني شكرك ومجازاتك فتمن علي بتقبيل يدك فانه أفضل من كل عطية فاذن له في ذلك فدنا الشيخ فقبل يده دفعات فجذبه اليه سيف الدولة وساوده (١) بشيء فضحك الشيخ وقال إي والله إيه والله ايها الامير قال فاستدعى خادم حرمه وساره بشيء وانصرف الشيخ الى الدار التي أخذت له وقال له أقم فيها الى ان أنظر في امرك وتخرج الى عيالك قال فسالته عما ساره خادم حرمه فقال قال اخرج اليه جارية من وصائف اخته في نهاية الحسن بثياب وزي يزيد قيمتها على عشرة آلاف درهم فحملت اليه قال فقمت قائما وقلت والله ايها الامير ما سمع بهذا الفعل عن البرامكة ولا غيرها فقال دعني من هذا ما معنى قولك لابي اسحاق بن شهرام لا تورد عليه هذا عقيب اليأس فتنشق مرارته فقلت كنت منذ ساعة عند ابي محمد الصلحي وابي القاسم المغربي فجرى كذا وكذا وقصصت عليه القصة وانصرف هذا الشيخ اخزى منصرف ثم جاء بنفسه فعامله مولانا بمثل هذا الفعل العظيم

(١) أي ساره لان المسار يدلي سواره ، أي جسمه وشخصه ، من سواد من بساره

فخفت بعرّفه فجاءة فتنشق مرارته فقال هاتم الساعة الصلحي والمغربي فجاء احدهما قبل الآخر فجلس ولم يخاطبه حتى حضر الآخر ثم اقبل عليهما فقال فويحكما اخبراني ألم احسن اليكما واصطنعكما وانوه بكما وأسنِ ارزاقكما واعلِ مرتبتكما واخفف الخدمة عليكما واتناه بجهدي في قضاء حقوقكما ؟ فاخذا يشكرانه فقال ما اريد هذا إما ان تقولا نعم او لا فقالا بلى والله وزيادة قال فمن حقي عليكما ومكافأة هذا وشكره ان تقطعا عني رجاء الناس وتصدانهم عن أملي وتؤيسانهم من بري وتنسباني عندهم الى الضجر برقاع المؤملين والبخل على المستحقين ما كان عليكما لو اخذتما رقعة الرجل فان اجرى الله على يدي خيراً كنتما فيه شريكين وان ضجرت كان الضجر الي منسوبا وانتما منه بريان وقد قضيتما حق قصد الرجل لكما فلا حقه قضيتما ولا حق الله عز وجل فيما اخذه على عباده من بذل الجاه ولا حق إنعامي قال واسرف في لومهما وتوبيخهما حتى كانهما قد جنيا اعظم جناية قال فاقبلا يعتذران ويحلفان انهما ما ارادا الا التخفيف عنه بقراءة شيء طويل وارادا ان يخفف الرجل الرقعة فتخف قراءتها وتكون أنجع لحاجته وانهما ما قدّرا انه قد أيس وانصرف مغموما ولو علما بذلك لقصداه حتى يرتجما رقعته ويرصلانها قال فاقبلت الجماعة تدعو له وتحلف ان هذا التأديب والتفضل والنية في الجود والكرم احسن من الفعل الذي عمله مع الرجل على عظم حسنه وانه ليس على وجه الارض من يعمله غيرك

يتبع